معاني الذكر في القران الكريم (دراسة موضوعية)

د.حيدر عبد العزيز اسماعيل الكيلاني
الجامعة المستنصرية - كلية التربية الاساسية - قسم التربية الاسلامية

الخلاصة

الحمد لله الذي شهدت بتوحيده عجائب المصنوعات، ونطقت بتحميده غرائب المبدوعات، وسبح له الخلق باختلاف اللغات، فسبحان من لا يساويه أحد في الأرض والسموات، أحمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة باسقة الفروع، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أرسله من أرجح العرب ميزانًا، وأوضحها بيانًا، وأعلاها مقامًا وأحلاها كلامًا، وأوفاها ذمامًا، فأوضح الطريقة ونصح الخليقة، وشهر الإسلام، وكسر الأصنام، وأظهر الأحكام، وعم بالإنعام، اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه البررة الكرام وعلى أزواجه وذريته في كل محفل ومقام .

أمَّا بعد: فلا ريب أنَّ ذِكر الله ودعاءه هو خير ما أُمضيت فيه الأوقات وصُرفت فيه الأنفاس، وأفضل ما تقرّب به العبدُ إلى ربّه سبحانه وتعالى، وهو مفتاحٌ لكلِّ خير يناله العبد في الدنيا والآخرة فمتى أعطى الله تعالى العبدَ هذا المفتاح فقد أراد أنْ يفتح له، ومتى أضلَّه بقي باب الخير مُرْتَجاً دونه ، فيبقى مضطربَ القلب، مُشَوَّشَ الفؤاد، مُشَتَّتَ الفِكر، كثيرَ القَلَقِ، ضعيفَ الهِمَّةِ والإرادةِ، أمّا إذا كان محافظاً على ذِكر الله ودعائه وكثرةِ اللجأ إليه فإنَّ قلبَه يكون مطمئناً بذكره لربِّه ، وينال من الفوائد والفضائل والثمار الكريمة اليانعة في الدنيا والآخرة ما لا يحصيه إلاَّ الله تعالى ... وان المستهدي بنور الإيمان، والناظر بعين البصيرة، قد علم تحقيقاً؛ انه لا طريق إلى تحصيل سعادة الدنيا والآخرة، والفوز بالدرجات العالية، ونيل رضا الحق جل وعلا؛ إلا بمداومة ذكره سبحانه، واخذ القلب حظاً وافراً من إجلاله وتعظيمه، وأدرك يقيناً انه لا زكاة لهذا القلب ولا صلاح له؛ إلا بان يكون الله عز وجل محبوبه وغاية مطلوبه، ولا سبيل إلى ذلك قطعاً إلا بمعرفته سبحانه والمواظبة على ذكره . فوجدت من الضروري بحث هذا الموضوع وبيان أمره ومعناه في نصوص القران الكريم وادرسه دراسة موضوعية أسميته (معاني الذكر في القران الكريم دراسة موضوعية)، وجعلته بعد المقدمة على خمسة مباحث وخاتمة: المبحث الأول: معنى الذكر لغة واصطلاحا. والمبحث الثاني: أنواع الذكر وما يثاب عليه منه. والمبحث الثالث: فوائد الذكر في الدنيا والآخرة. والمبحث الرابع: معاني الذكر في النصوص القرآنية. والمبحث الخامس: ذكر الله تعالى وحسن الصلة به. (نسأل الله العظيم رب العرش العظيم ، أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وان يجعل هذا العمل لوجه الكريم)

The Meanings Mentioned in the Quran - objective study

Dr. Haider Abd Alazez Esmaill Al-kilany
University of Al–Mustansiriyah - College of Basic Education - Islamic Education Dept.

Abstract

Praise be to God, who has seen uniting the wonders of manufactures, and pronounced Pthamidh oddity Alambdoat, and swam his creation in different languages, Glory is not equal to one in the earth and the heavens, praise Him, and I bear witness that there is no god but Allah alone with no partner certificate towering branches, and I bear witness that Muhammad is His slave and Messenger sent swage Arab government balance, and clearest statement, and the highest residence and Ohllagha words, and Oovaha Zmama, he pointed the way and advised the creation, and the month of Islam, breaking idols, and showed provisions, uncle Balanaam, God separated blessings and peace upon our Prophet Muhammad and the God of the good and virtuous and his companions honorable sons and his wives and offspring in every forum and denominator.

After: there is no doubt that the mention of God and his prayer is the best of what it spent times and spent a breathtaking, and the best closer by slave to his Lord Almighty, which is the key to all that is good bestowed slave in this world and the hereafter. When God slave gave this key has wanted to open his and when the bounty left the door goodness Mrtja without him, remains a troubled heart, muddle-hearted, distracting thought, much anxiety,

weak vigor and the will, but if the governor of the mention of God and prayed and frequent Alljo him, his heart be reassured his penis to his Lord, and diminish the benefits and virtues and fruits precious ripe in the world and the Hereafter what is known only to God ... and that Almstaheda the light of faith, and the beholder into insight, has learned an investigation; it's not the way to collect the happiness in this world and the hereafter, and win high degrees, Neil Reza right Almighty; but Bmdaomh mentioned by the Almighty, and took heart from much luck paid tribute and veneration, and he realized that he certainly does not zakat for this heart is not goodness to him; however, that is God Almighty beloved and highly required, so there is no way to absolutely, but his knowledge of the Almighty and attendance mentioned. I found it is necessary to discuss this issue and the statement of his order and meaning in the texts of the Koran and I teach an objective study I called (the meanings mentioned in the Koran objective study), and made him after the introduction of five sections and a conclusion: First topic: the meaning of the language of male and idiomatically. The second topic: the male species, and be rewarded for it from him. The third topic: the benefits mentioned in this world and the hereafter. The fourth topic: the meanings mentioned in the Koranic texts. The fifth topic: the remembrance of Allah Almighty and good relates.

(We ask God Almighty, Lord of the Great Throne, to guide us to what he loves and is pleased، And that makes this work-to-face Karim)

المبحث الأول

معنى الذكر لغة واصطلاحا

الذّكر لغةً مصدر ذكَر الشّيء يذكره ذِكْراً وذُكْراً، وقال الكسائيّ : الذّكر باللّسان ضدّ الإنصات ذاله مكسورة، وبالقلب ضدّ النّسيان وذاله مضمومة، وقال غيره: بل هما لغتان (١) .

وهو يأتي في اللّغة لمعانٍ (٢) :

الأوّل: الشّيء يجري على اللّسان، أي ما ينطق به، يقال: ذكرت الشّيء أذكره ذكراً وذكرًا إذا نطقت باسمه أو تحدّثت عنه، ومنه قوله تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ (٣). والثّاني: استحضار الشّيء في القلب، ضدّ النّسيان . قال تعالى حكايةً عن فتى موسى: ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ (٤) .

ذكر الرّاغب : أن الذّكر تارةً يراد به هيئة للنّفس بها يمكّن الإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ، إلاّ أنّ الحفظ يقال اعتبارًا بإحرازه، والذّكر يقال باعتبار استحضاره، وتارةً يقال لحضور الشّيء القلب أو القول . ولذلك قيل : الذّكر ذكران : ذكر بالقلب، وذكر باللّسان، وكلّ واحدٍ منهما ضربان: ذكر عن نسيانٍ، وذكر لا عن نسيانٍ، بل عن إدامة حفظٍ. وكلّ قولٍ يقال له ذكر . ومن الذّكر بالقلب واللّسان معاً قوله تعالى (٥) :﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾(٦) .

قال الإمام أبو الحسن الواحدي: (أصل الذكر في اللغة : التنبيه على الشيء، ومن ذكرك شيئا فقد نبهك عليه، وإذا ذكرته فقد نبهته عليه، قال: ومعنى الذكر حضور المعنى في النفس، ثم يكون تارة بالفعل، وتارة بالقول، وليس بشرط أن يكون بعد نسيان) ، هذا كلام الواحدي (٧) .

أمّا في الاصطلاح فيستعمل الذّكر بمعنى (ذكر العبد لربّه عزّ وجلّ، سواء بالإخبار المجرّد عن ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، أو أحكامه، أو بتلاوة كتابه، أو بمسألته ودعائه، أو بإنشاء الثّناء عليه بتقديسه، وتمجيده، وتوحيده، وحمده، وشكره وتعظيمه) (٨) .

قال القرطبي : (وأصل الذكر التنبه بالقلب للمذكور والتيقظ له . وسمي الذكر باللسان ذكرا لأنه دلالة على الذكر القلبي، غير أنه لما كثر إطلاق الذكر على القول اللساني صار هو السابق للفهم) (٩) .

قال النووي : (اعلم أن فضيلة الذكر غير منحصرة في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها، بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى، كذا قاله سعيد بن جبير رضي الله عنه وغيره من العلماء)(١٠) .

قال أهل العلم : (إن كل ما تكلم به اللسان وتصوره القلب مما يقرب إلى الله من تعلم علم وتعليمه وأمر بمعروف ونهي عن منكر فهو من ذكر الله . ولهذا من اشتغل بطلب العلم النافع بعد أداء الفرائض أو جلس مجلساً يتفقه أو يفقه فيه الفقه الذي سماه الله ورسوله فقهاً فهذا أيضا من أفضل ذكر الله) (١١) .

وقال ابن رجب : (الذكرُ المطلقُ يدخل فيه الصَّلاةُ، وتلاوة القرآن، وتعلُّمه، وتعليمُه، والعلمُ النافع ، كما يدخلُ فيه التَّسبيحُ والتَّكبير والتَّهليل) (١٢) .

إن ذكر الله تعالى ليس هو لقلقة لسان، أو مجرد التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، في دائرة الألفاظ والكلمات، بل هو التوجه الحقيقي لله تعالى، والإذعان لقدرته والإحسان بوجوده أينما كنا . ولا شك أن مثل هذا الذكر هو المطلوب، وهو الغاية القصوى والدافع للاتجاه نحو الحسنات، والإعراض عن السيئات والقبائح (١٣) .

ونقل عن الإمام علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ، انه قال : (الذكر ذكران : ذكر عند المصيبة، حسن جميل وأفضل من ذلك ذكر الله عند ما حرم الله عليك، فيكون ذلك حاجزا) (١٤). ونقل ما يقرب لهذا المعنى عن الإمامين الصادق والباقر (عليهما السلام) .

ونستنتج من ذلك، أن الذكر الحقيقي، هو الذكر الذي يترك أثره الايجابي في أعماق الروح الإنسان، ويفعل اتجاهاته الفكرية والعملية في خط التقوى والالتزام الديني، ويربي في النفس والروح، عناصر الخير والصلاح، ويدعو الإنسان إلى الله العزيز الحكيم . ومن يذكر الله تعالى على مستوى اللسان، ويتبع الشيطان على مستوى الممارسة والعمل، فهو ليس بذاكر حقيقي، ولا يذكر الله من موقع الإخلاص، بل هو كما قال الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام (من الذكر ولم يستبق إلى لقائه فقد إستهزء بنفسه) (١٥) .

المبحث الثاني

أنواع الذكر وما يثاب عليه منه

النوع الأول : نطق اللسان بالأذكار ؛ من تلاوة ، وتسبيح ، وتهليل ، وتكبير ، ونحوها .

النوع الثاني : نطق القلب بهذه الأذكار .

النوع الثالث : اشتراك اللسان والقلب بالنطق ، بأن يتفرغ القلب مع اللسان فيه .

النوع الرابع : استحضار القلب لمعاني الأذكار دون نطق اللسان .

النوع الخامس : استحضار القلب لها مع نطق اللسان بالذكر .

النوع السادس : استحضار عظمة الله تعالى وجلاله وكماله إجمالا أو بالتفصيل، بتدبر أسمائه الحسنى وصفاته العلى الثابتة له في الكتاب والسنة، بتناول كل اسم وصفة منها، والتفكر في معانيها، واستحضار عظمة الموصوف به وكماله وجماله، وتنزيهه عما لا يليق به، ثم امتلاء القلب من ذلك، وحصول ثمرته من المحبة لله تعالى والخوف منه والرجاء منه، وخشوع القلب وإخلاصه له، وطمأنينته بذكره، وتوكله عليه، وسائر أحوال القلب الإيمانية .

ويدخل في هذا الذكر التفكير في مخلوقات الله تعالى البديعة، ويدخل فيه أيضا ذكر نعمه السابغة الظاهرة والباطنة، وجوده وكرمه وتفضله على عباده ؛ مما يهيج الطائعين منهم والمقصرين إلى شكره .

وهذا النوع من الذكر _ اعني السادس _ أعلى أنواع الذكر لله، خاصة إذا التحق به :

النوع السابع : بأن يضاف إلى هذه الأحوال الشريفة الرفيعة نطق اللسان بالأذكار الشرعية الصحيحة؛ بتدبر معانيها، وتفهم أسرارها ومراميها ؛ فإنها تارة تعبر عما في القلب، وتارة تجلبه وتوجبه .

ويكون هذا الذكر نافعاً بتحقق :

النوع الثامن : وهو الانقياد والتسليم لأوامر الله تعالى ؛ فيسارع العبد إلى عمل الصالحات، واجتناب المنهيات؛ محبة لله تعالى، وخوفا منه، ورغبة إليه، وإرادة لوجهه، ومتابعة لرسوله الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) (١٦) .

ومع مداومة هذا الذكر، وامتلاء القلب منه، والصبر عليه؛ لا بد أن يفتح الفتاح العليم والرزاق الكريم على عبده، ويوفقه لأحسن الأحوال وارفع المقامات وأعلى الدرجات، والى أن يتولاه ويصطفيه، ويجعله من أحبائه المقربين، الذين عبدوه بالإحسان، كأنهم يرونه، نسأل الله تعالى من فضله العظيم .

المبحث الثالث

فوائد الذكر في الدنيا والآخرة

وفي الذكر فوائد كثيرة ، ومقاصد عظيمة ، وهي (١٧) :

إحداها : إنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

الثانية : إنه يرضي الرحمن عز وجل.

الثالثة : إنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة : إنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط.

الخامسة : إنه يقوي القلب والبدن.

السادسة : إنه ينور الوجه والقلب.

السابعة : إنه يجلب الرزق.

الثامنة : إنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

التاسعة : إنه يورثه المحبة التي هي روح الإسلام وقطب رحى الدين ومدار السعادة والنجاة .

العاشرة : إنه يورثه المراقبة حتى يدخله في باب الإحسان فيعبد الله كأنه يراه .

الحادية عشرة : إنه يورثه الإنابة وهي الرجوع الى الله عز وجل فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره أورثه ذلك رجوعه بقلبه اليه في كل أحواله فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه وملاذه ومعاذه وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا.
الثانية عشرة : إنه يورثه القرب منه فعلى قدر ذكره لله عز وجل يكون قربه منه وعلى قدر غفلته يكون بعده منه.
الثالثة عشرة : إنه يفتح له باباً عظيماً من أبواب المعرفة، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة.
الرابعة عشرة : إنه يورث الهيبة لربه عز وجل وإجلاله لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع الله تعالى بخلاف الغافل فان حجاب الهيبة رقيق في قلبه.
الخامسة عشرة: إنه يورثه ذكر الله تعالى له .
السادسة عشرة : إنه يورث حياة القلب .
السابعة عشرة : إنه قوت القلب والروح .
الثامنة عشرة : إنه يورث جلاء القلب من صداه .
التاسعة عشرة : إنه يحط الخطايا ويذهبها فإنه من أعظم الحسنات والحسنات يذهبن السيئات.
العشرون : إنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى .
الحادية والعشرون : إن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده يذكر بصاحبه عند الشدة .
الثانية والعشرون : إن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره في الرخاء عرفه.
الثالثة والعشرون : إنه ينجي من عذاب الله تعالى .
الرابعة والعشرون : إنه سبب تنزيل السكينة وغشيان الرحمة وحفوف الملائكة بالذاكر.
الخامسة والعشرون: إنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل فان العبد لا بد له من أن يتكلم فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى .
السادسة والعشرون: إن مجالس الذكر مجالس الملائكة ومجالس اللغو والغفلة ومجالس الشياطين فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.
السابعة والعشرون: إنه يسعد الذاكر بذكره ويسعد به جليسه وهذا هو المبارك أين ما كان والغافل واللاغي يشقى بلغوه وغفلته ويشقى به مجالسه .
الثامنة والعشرون: إنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة فان كل مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة.
التاسعة والعشرون: إنه مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى العبد يوم الحر الأكبر في ظل عرشه والناس في حر الشمس قد صهرتهم في الموقف وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل.
الثلاثون: أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطي السائلين.
الحادية والثلاثون: إنه أيسر العبادات وهو من أجلها وأفضلها فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها، ولو تحرك عضو من الإنسان في اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة بل لا يمكنه ذلك.
الثانية والثلاثون: إنه غراس الجنة .
الثالثة والثلاثون: إن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال .
الرابعة والثلاثون: إن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذي هو سبب شقاء العبد في معاشه ومعاده فان نسيان الرب سبحانه وتعالى يوجب نسيان نفسه ومصالحها .
الخامسة والثلاثون: إن الذكر يسير العبد وهو في فراشه، وفي سوقه، وفي حال صحته وسقمه، وفي حال نعيمه ولذته وليس شيء يعم الأوقات والأحوال مثله حتى يسير العبد (١٨) .

المبحث الرابع

معاني الذكر في النصوص القرآنية

وردت ألفاظ الذكر في القرآن في نحو مائتي موضع مختلفة الاشتقاق والموضع الإعرابي ونوع الضمائر الملحقة بها وفي التجرد والزيادة .

وقد رأيت أن الصيغة الثلاثية للذكر (ذكر) ومشتقاتها المختلفة تستعمل في معان معينة، بينما الصيغ المزيدة تستخدم استخداما آخر .

فالذكر صورة حاضرة ماثلة في الذهن .
والتذكرة استحضارها بعد النسيان .
والتذكير حفز الغير على ذلك الاستحضار .
ولنبدأ بالحديث عن الذكر ، وما يشتق من مادته من صيغ ثلاثية .
وردت الصيغة الثلاثية للذكر من عدة صور متباينة ، وفي معان متنوعة :

* جاءت بالصيغة الفعلية (ذكر - يذكر - اذكر) مراداً بها الحديث .
* وجاءت بالصيغة الاسمية مرادا بها الشرف أو الشأن ، ومرادا بها العلم ، ومرادا بها الكتاب المنزل أو النبي المرسل .

* وتناوله القرآن بالصيغة الفعلية واقعا على لفظ الجلالة ، وبالصيغة الاسمية مضافا إليه مثل: ذكروا الله - يذكرون الله - اذكروا الله - ذكر الله .
* وبنفس الصيغتين واقعا على لفظ الرب أو مضافا إليه . .
* وبالصيغة الفعلية واقعاً على اسم الله تعالى .

والذكر في الحالات الثلاث الأولى يدخل في دائرة الاستعمال اللغوي فحسب ، وفي الحالات الأربع الأخيرة مقصور على العبودية الخالصة ، والارتباط الوثيق بالله (١٩) .

ذكر علماء التفسير أن الذكر في القرآن الكريم على عشرين وجها (٢٠) :

١- الذكر باللسان: ومنه قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (٢١) ، وقوله أيضا: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾(٢٢)، وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾(٢٣) . والذكر باللسان كالصلاة وتلاوة القرآن، والتذكر بالعقل كالتدبر في صفاته واستحضار امتثاله قال عمر بن الخطاب : أفضل من ذكر الله باللسان ذكر الله عند أمره ونهيه (٢٤) .

٢- الذكر بالقلب : ومنه قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (٢٥) . والذكر بالقلب: فهو التّفكر في عظمة الله وجلاله وقدرته وفيما في خلقه وصنعه من الدّلائل عليه وعلى حكمه وجميل صنعه. وأما الذكر باللسان فهو بالتعظيم والتّسبيح والتّقديس (٢٦) .

٣- الذكر بمعنى الحديث: ومنه قوله تعالى ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ (٢٧) ، أي : تحدّث بشأني عند الملك ، واكشف له عن الكيد الذي كاد لي به النسوة حتى ألقوا بي في السجن، فلعلّه يفكّ قيدي ، ويطلق سراحي (٢٨) .

٤- الذكر بمعنى الخبر : ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (٢٩) ، والمعنى: ويسألك المكيون القرشيون عن خبر ذي القرنين، سؤال اختبار وتعنّت، لا سؤال تأدّب وتعلّم، فقل لهم: سأخبركم عنه خبرا مذكورا في القرآن، بطريق الوحي الثابت المنزل عليّ من ربي (٣٠) .

٥- الذكر بمعنى العظة : ومنه قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ (٣١) ،أي: من البأساء والضراء ، أي: تركوا الاتعاظ به فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ من النعم، كالصحة والسعة وراحة البال والأمن، وصنوف رغائبهم، استدراجاً وإملاءً ومكراً بهم، عياذاً بالله من مكره (٣٢) .

٦- الذكر بمعنى التوحيد : ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي ﴾ (٣٣) ، تمثيل لتعامي الكافرين عن الآيات الدالة على توحيد الله تعالى والكتاب الذي يذكر به جميع المطالب العالية، وان تركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك، بأن يكون على وجه الإنكار له، والكفر به (٣٤) .

٧- الذكر بمعنى الوحي : ومنه قوله تعالى: ﴿ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٣٥) ،أي: كيف خصّ من بيننا بالوحي والنبوة، وفينا من هو أحق بذلك منه، بل هو متجاوز في حد الكذب فيما يدعيه من نزول الوحي الإلهي عليه، ومتكبر بطر، حمله تكبره على الترفع علينا بادعائه الوحي (٣٦) .

٨- الذكر بمعنى القرآن : ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٣٧) ، وهذا القرآن ذكر مبارك ونور وهداية، فيه الخير والهدى والعلم والمعرفة، وفيه النجاة والسعادة، والفوز والفلاح . فيه أسباب سعادة الدنيا والآخرة إذ هو علاج لكل داء، ودواء لكل مرض، وقد أثبتت الحوادث ذلك فيما نرى . أفأنتم له منكرون بعد هذا ؟ !! إن هذا لعجيب!!! (٣٨).

٩- الذكر بمعنى الكتب السماوية : ومنه قوله تعالى:﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣٩)، على العوام سؤال أهل الذّكر فيما لم يكونوا يعلمون به، وأهل الذّكر: هم أهل العلم مطلقا، سواء بأخبار الماضين، إذ العالم بالشيء يكون ذاكرا له، أو بالكتب السماوية السابقة، أو بالقرآن . وبما أن أهل مكة كانوا مقرّين بأن اليهود والنّصارى أصحاب العلوم والكتب، فأمرهم الله بأن يرجعوا في مسألة بشرية الرّسل إليهم، ليبيّنوا لهم ضعف هذه الشّبهة وسقوطها، فهم الذين يخبرونهم بأن جميع الأنبياء كانوا بشرا.

١٠- الذكر بمعنى الشرف : ومنه قوله تعالى :﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٤٠) ، والمعنى: لقد أنزلنا إليكم يا معشر العرب عن طريق رسولنا محمد (صلّى الله عليه واله وسلّم) كتابا عظيم الشأن، نير البرهان، مشتملا على ما يسعدكم، وهذا الكتاب فِيهِ ذِكْرُكُمْ أي: فيه شرفكم، وعلو منزلتكم، وحسن موعظتكم ، وشفاء صدوركم (٤١) .

١١ـ الذكر بمعنى الطاعة : ومنه قوله تعالى :﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (٤٢) ، أي: فاذكروني بالطاعة والامتثال والعمل الصالح، مثل الحمد والتسبيح والشكر، وقراءة القرآن وتدبرا آياته، والتفكر في الأدلة الكونية على وجودي وقدرتي ووحدانيتي، والتزام ما أمرتكم به، واجتناب ما نهيتكم عنه، والإيمان بالرسل والاقتداء بهم، أذكركم عندي بالثواب والإحسان، وإفاضة الخير، ودوام السعادة والعزة، وأفاخر بكم الملائكة، واشكروا نعمتي التي أنعمتها عليكم بالقلب واللسان واستعمال كل عضو فيما خلق له من الخير والنفع، ولا تكفروا هذه النعم، بصرفها في غير ما يبيحه الشرع، ولا يقره العقل السليم، فإني مجازيكم على ما قدمتم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، (٤٣)

كما جاء في آية أخرى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ (٤٤) .

١٢ـ الذكر بمعنى الحفظ : ومنه قوله تعالى: ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ ﴾ (٤٥) ،أي: خذوا ما أعطيناكم من أحكام الشريعة بقوة عزيمة وعزم على احتمال المشقة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون، أي: أحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه وما تضمنه من الأحكام أوامرها ونواهيها، أو اعملوا به لئلا تنسوه، فإن ذلك يعدكم للتقوى ويجعلها مرجوة لكم، فإن الجد وقوة العزم في إقامة الدين يهذب النفس ويزكيها، والتهاون والإغماض فيه يدسها ويغويها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها (٤٦) .

١٣ ـ الذكر بمعنى البيان : ومنه قوله تعالى :﴿ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (٤٧)، قال السدي : بيان من ربكم (٤٨).

١٤ـ الذكر بمعنى الصلوات الخمس : ومنه قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ (٤٩) ، أي : يا أيها المؤمنون المصدقون بالله تعالى ورسوله (صلى الله عليه واله وسلم) لا تشغلكم الأموال وتدبيرها والأولاد والعناية بشؤونها عن القيام بذكر الله تعالى من قراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتهليل وأداء فرائض الإسلام وحقوق الله تعالى(٥٠) .

١٥ـ الذكر بمعنى صلاة الجمعة : ومنه قوله تعالى :﴿ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ﴾ (٥١) ، والمعنى: يا من آمنتم بالله حق الإيمان، إذا نادى المنادى لأجل الصلاة في يوم الجمعة، فامضوا إليها بجد، وإخلاص نية، وحرص على الانتفاع بما تسمعونه من خطبة الجمعة، التي هي لون من ألوان ذكر الله ـ تعالى – وطاعته (٥٢) .

١٦ـ الذكر بمعنى صلاة العصر : ومنه قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٥٣) ، أي: آثرت حب الخير وأراد بالخير الخيل، وسمّيت الخيل خيرًا لأنه معقود بنواصيها الخير: الأجر، والمغنم . قال مقاتل : حُبَّ الْخَيْرِ، يعني: المال، فهي الخيل التي عرضت عليه، (عَن ذِكْرِ رَبِّي) يعني: الصلاة، وهي صلاة العصر، (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ) ، أي : توارت الشمس بالحجاب، أي: استترت بما يحجبها عن الأبصار(٥٤) .

١٧ـ الذكر بمعنى الغيب : ومنه قوله تعالى: ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ (٥٥) ، أي: وإذا أبصرك المشركون - أيها الرسول الكريم - سخروا منك ، واستخفوا بك وقالوا على سبيل التهوين من شأنك : أَهذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ بالغيب ، أي : أهذا هو مدعى النبوة الذي يذكر آلهتكم بسوء ويعيبها ، وينفى شفاعتها لنا ، وأنها تقربنا إلى الله زلفى(٥٦) .

١٨ ـ الذكر بمعنى اللوح المحفوظ : ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (٥٧) ، والمراد بالزبور: الكتاب المزبور، أي: المكتوب. ويشمل هنا جميع الكتب السماوية كالتوراة والإنجيل والزبور. والمراد بالذكر: اللوح المحفوظ الذي هو أم الكتاب . وقيل: المراد بالزبور: كتاب داود خاصة. وبالذكر التوراة، أو العلم، والمقصود بالأرض هنا : أرض الجنة. فيكون المعنى: ولقد كتبنا في الكتب السماوية، من بعد كتابتنا في اللوح المحفوظ : أن أرض الجنة نورثها يوم القيامة لعبادنا الصالحين (٥٨) .

١٩: الذكر بمعنى الثناء على الله : ومنه قوله تعالى :﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٥٩) ،أي: صدقوا في إيمانهم، وأخلصوا في أعمالهم لم يشغلهم شيء عن ذكر الله تعالى، ولم يجعلوه همهم الدنيا وديدنهم، وهجوا المشركين، دفاعاً عن الحق ونصرة للإسلام (٦٠).

٢٠ـ الذكر بمعنى الرسول : ومنه قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ ﴾ (٦١) . أخرج ابن مردويه عن ابن عباس { قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا } ، قال : محمد (صلى الله عليه واله وسلم) (٦٢) .

وذكر الآلوسي ما ملخصه : وقوله { قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَّسُولًا} هو النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وعبر عنه بالذكر، لمواظبته على تلاوة القرآن الذي هو ذكر، وتبليغه والتذكير به ... (٦٣) .

المبحث الخامس

ذكر الله تعالى وحسن الصلة به

هناك مفاهيم قرآنية عظيمة متضمنة ذكر الله تعالى وحسن الصلة به، وهي تعطي صورة واضحة ومعاني متعددة وتكمن بالمواضع التالية :

الموضع الأول ـ قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ ﴾ (٦٤) .

إن ذكر الله تعالى هو قوام الحياة الروحية، وهو العنصر الفعال الذي يتفاعل داخل كيان الذاكر، ويتحد مع ذرات القلب ليتحول إلى طاقة نورانية ربانية، تولد في روح المؤمن القوة والنشاط، وتدفعه للقيام بالمزيد من الطاعات والعبادات والعمل المنتج، وهو عطاء مستمر لا ينقطع، ومن ثمراته خروج المؤمن من الظلمات النفسية والمادية إلى رحاب الحق والحكمة والعمل الصالح، وهذا من رحمة الله بعباده وهو ارحم الراحمين . وفي الدار الآخرة يوم اللقاء العظيم مع حضرة الله يجد المؤمن كل سلام وتقدير ومحبة، مع التكريم في المقام، بما لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر(٦٥) .

وهي أعطيات الله تعالى سابقة لعباداتنا، فقد رزقنا العقل لندرك عظمته وقدراته الخلاقة، ووهبنا الحس الروحي والفطرة السليمة، لنذوق حلاوة الإيمان، ومنحنا أجساماً قوية، كاملة البنية، لنستعين بها على القيام بالعمل المطلوب منا، ولنسخرها مع جملة الطاقات التي أودعها الله فينا للتحرر من ظلمات الجهل والتقاليد، والخروج منها إلى نور العلم والمعرفة واليقين (٦٦) .

ولما كان ذكر الله من أهم الأبواب الَّتي يَلِجُها المؤمن؛ للوصول إلى رحاب المعرفة الإلهيَّة، جاء الحضُّ عليه في آيات من القرآن الكريم، يفوق عددها عدد الآيات الَّتي تحضُّ على غيره من العبادات المحدَّدة بأوقات معيَّنة، كما جاء الأمر بالمداومة عليه في كل حين وعدم الانشغال عنه في أي حال من الأحوال، قال تعالى:﴿ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ ﴾ (٦٧)، فهو مطلوب بالليل والنهار، وفي البَرِّ أو البحر، في السفر أو الحضر، في الغنى أو الفقر، في الصحَّة أو السُّقم، في السرِّ أو الجَهْر، وعلى كل الأحوال (٦٨) .

وليس الذكر مجرَّد تحريك للِّسان؛ بل هو اتصال قلبي بالله، ونشاط روحي بنَّاء. والقلب الفارغ من الذكر يبقى لاهياً حائراً مظلماً، ما لم يحصل له الاتصال بالله والأنس بمجالسته، فإذا امتلأ من نور ذكره، صحا صاحبه من لهوه، واهتدى بعد حيرته، فأبصر طريقه وعلم من أين وإلى أين ينقل خطاه . ومن خير ما قيل في تصوير القلوب الخالية من الذكر والقلوب العامرة به، قول أحد العلماء العارفين (٦٩) :

قلوب إذا منه خلت فنفوس لأَحْرُف وسواس اللعين طروس
وإن مُلِّئَت منه ومن نور ذكره فتلك بدور أشرقت وشموس

ولا يزال لسان العبد يلهج باسم الله حتَّى يحصل له الحضور الدائم معه، وحينها يفوز بالشهود القلبي، فلا يفتر عن مراقبة الله وذكره، إلى أن يحظى باليقين والطمأنينة المطلقَيْن، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (٧٠) ، وإذا غلب الذكر على الذاكر امتزج حبُّ المذكور بروحه، حتَّى تزول الحجب بينه وبين ربِّه، ويلمس حقيقة وجوده بعين البصيرة، فيغدق عليه الحقُّ تعالى من العلوم والأنوار ما يليق بفضله وكرمه (٧١) .

ويجب أن يكون الذكر مقترناً بالتسبيح الَّذي هو تنزيه لله جلَّ وعلا عما لا يليق به من الصفات، وقد بيَّن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فضل التسبيح بقوله: « من قال سبحان الله العظيم نَبتَ له غرس في الجنَّة » (٧٢) . وعن مصعب بن سعد عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، قال : « إذا قال العبد: سبحان الله قالت الملائكة: وبحمده، وإذا قال: سبحان الله وبحمده، صلُّوا عليه » (٧٣). وثواب الذكر هو صلاة الله وملائكته على العبد الذاكر المسبِّح لله { هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ..}، وصلاة الله رعاية لعبده، وعناية بأمره، ورفع لدرجاته، وصلاة الملائكة استغفار له ودعاء. وهذا من شأنه أن يخرجه من ظلمات الضلالة إلى نور الله؛ ونور الله واحد متَّصل شامل، وهو يشرق في قلوب المؤمنين، ويغمر أرواحهم، ويهديهم إلى فطرة التَّوحيد الَّتي يقوم عليها الوجود كله، وذلك أجرهم في الدنيا دار العمل، أمَّا أجرهم في الآخرة دار الجزاء فهو الأمان من عذاب الله يوم القيامة، والفوز بالأجر العظيم . والله واسع الرحمة بالمؤمنين حيث يقبل القليل من أعمالهم، ويعفو عن الكثير من ذنوبهم إذا أخلصوا وصدقوا في إيمانهم (٧٤) .

وتحيَّة المؤمنين الذاكرين يوم يلقون ربَّهم سلام؛ وهل هناك ما هو أجمل وأصفى من السَّلام ؟ سلام من كلِّ خوف، ومن كلِّ تعب، ومن كلِّ كدٍّ، سلام يتلقَّونه من الله تحمله إليهم الملائكة ، وهم يدخلون عليهم من كلِّ باب، يبلِّغونهم التحيَّة العلويَّة، إلى جانب ما أَعَدَّ الله لهم من أجر كريم، فيا له من تكريم (٧٥) .

الموضع الثاني ـ قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعۡشُ عَن ذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٞ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٧٦) .

إن نور الله تعالى يحصِّن قلب المؤمن ويضرب حوله سوراً منيعاً يصعب على الشيطان أن يخترقه، ولا يزال هذا السور قائماً ما استقام الذاكر على ذكر الله تعالى . أمَّا من غفل عن الله وقطع اتصاله به، فهو أعزل أجرد لا حول له ولا قوَّة، تغزوه نزغات الشيطان من شتَّى الاتجاهات (٧٧) .

لقد قضت سنَّة الله في الكون أن يطرد النور الظلام، فما إن يظهر النور حتَّى يختفي الظلام، وبمجرَّد أن ينحسر النور وينطفئ، يعود الظلام ليحلَّ من جديد . وبذرة النور الإلهي مزروعة في ساحة القلب الإنساني، وهي الفطرة الَّتي أودعها الله تعالى قلوب خلائقه، وهذه الساحة تُشِعُّ وتضيء، وتنبض بالحياة الإيمانيَّة كلَّما مَسَّتها النفحات الإلهية، وتبقى هكذا مضيئة مشرقة طالما بقي لها هذا الاتصال مع حضرة الله، فلا تكتنفها ظلمة أو غفلة (٧٨) .

ولا يتحقَّق الاتصال بحضرة الله تعالى إلا بكثرة ذكره، الَّذي تدخل ضمن دائرته بعض العبادات كالصَّلاة والحجِّ، وتتدرج في أنواعه المداومة على قراءة القرآن الكريم بوعي وتبصُّر، وعندها تصبح ساحة القلب مهبطاً للعلوم الربَّانية، وملتقى للأنوار الإلهيَّة، وبهذا يطمئنُّ القلب ويخشع، وينقاد لأوامر الله بكل محبَّة ورغبة. أمَّا إذا أُهمل هذا القلب، وأعرض به صاحبه عن عطاء الله وتجلِّياته، فإنه يغدو نفقاً للشيطان ينفذ من خلاله إلى أعماق نفسه، لينفث فيها سمومه وأفكاره، فيصبح أداة طيِّعة له، فقد أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم : « ما منكم من أحد إلا وقد وَكَّل الله به قرينه من الجن، قالوا : وإيَّاك يا رسول الله ؟ قال: وإيَّاي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير »(٧٩) . فكما أن الظلمات والنور لا يجتمعان في مكان واحد ووقت واحد، كذلك فإن الشيطان لا يمكن أن يدخل قلباً استقرَّ فيه النور الإلهي (٨٠) .

فالقلب إمَّا عرش للرحمن، وإمَّا عشٌّ للشيطان، والشقيُّ المحروم من أهمل قلبه، حتَّى جعل منه بؤرة، ينفث فيها الشيطان وساوسه وشروره، والسعيد الموفَّق من نظَّف سريرته، وطهَّر قلبه فصار منزلاً لأنوار الله، وانتصر بذلك على شيطانه فابتعد عنه ولاذ بالفرار؛ كما كان شأن عمر بن الخطاب الَّذي قال في حقِّه النبي (صلى الله عليه واله وسلم) : « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك » (٨١) .

الموضع الثالث ـ قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ (٨٢) .

الموضع الرابع ـ قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨ ﴾ (٨٣) .

للإيمان علائم وإشارات تدلُّ على صدق الإنسان في ادِّعائه؛ إنه لا يهدأ باله، ولا تسكن نفسه إلا عندما يلزم محراب ذكر الله عزَّ وجل. وإذا ما سمع ذكره من غيره، وتليت عليه آياته انتابه شعور بعظمته وجلاله، وسيطر عليه خشوع يمتزج به رجاء مرضاته، والوجل والخوف من حرمان رتبة القبول عنده.

وغريزة الخوف هي إحدى الغرائز الفطرية في النفس البشريَّة، إلا أن التربية الإيمانيَّة تهذِّبها وتوجِّهها نحو الله تعالى وحده، وتخلِّصها من الخوف ممَّا سواه، وليصبح الخوف من الله حافزاً للمؤمن وسبباً لطمأنينته، بدلاً من أن يكون عاملاً مثبِّطاً له.

ويجب أن تظهر ثمرات الذكر والخشية _ الَّتي هي خوف ممزوجٌ بالحبِّ _ في سائر أعمالنا الخاصَّة والعامَّة، كانعكاسات إيمانيَّة طيِّبة لجمال هذا الذكر وصفاته (٨٤) .

إن غريزة الخوف بمعناها الواسع مزروعة في أعماق النفس البشريَّة، غير أن التربية الإيمانيَّة تنظِّم هذه الغريزة وتوجِّهها كغيرها من الغرائز، حتَّى تبقى ضمن إطارها الصحيح ليستفاد منها في إعمار قلب المؤمن بتقوى الله تعالى واستشعار عظمته وهيبته. والخوف من الله نوعٌ من السمو الروحي الَّذي يقرِّب الإنسان من خالقه سبحانه، فتراه كلَّما ازداد منه خوفاً ازداد قرباً إليه لا هروباً . فالمؤمن الوَجِل من الله يخشى أن يخالف أوامره، ولا يغترُّ بالكثير من الأعمال والقربات الَّتي يقوم بها ابتغاء وجهه؛ بل يبقى خائفاً من عدم رضا الله عنها، وعدم اختتامها بخاتمة القبول، وقد قال تعالى في حقِّ هذا المؤمن وحقِّ من كان على شاكلته: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١ ﴾ (٨٥) ، فكانت هذه الآيات أعظم شهادة لهم من الله، وأصدق تعبير عن حالهم، فهم يستصغرون كل عمل يعملونه من أجله، ويرون أنه أقلُّ بكثير ممَّا يتوجَّب عليهم من فروض الطاعة والولاء لخالقهم، فتراهم يتحرَّقون شوقاً للقيام بمزيد من الطاعات، والمسارعة في فعل الخيرات، ويتسابقون إلى الخير ولا يَدَعُون لحظة تمرُّ دون أن يشغلوها، بذكر أو عبادة أو عمل صالح، أو إصلاح بين الناس، أو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، فمن أحبَّ الله أحبَّ مخلوقاته حُبّاً به، لا فرق في ذلك بين إنسان وحيوان ونبات (٨٦) .

والمؤمنون الذاكرون صفوة مختارة من مخلوقات الله، تنتاب قلوبهم رعشة الإيمان المنعشة؛ كلَّما طرق سمعهم اسم الله، وتستيقظ فيهم عواطف متباينة لكنها سامية، نبيلة، أدناها الحبُّ والشوق، وأعلاها الخوف والخشية، لأنهم يستشعرون عظمة من يقفون على بابه بشكل جليٍّ، وذلك لقوَّة إيمانهم، وشدَّة قربهم منه وكأنهم ماثلون بين يديه، قال تعالى:﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (٨٧) ، وهؤلاء المخبتون ـ أي المتواضعون المذعنون لله ـ الخاشعون قد شفَّت أرواحهم فارتقت، وصفت قلوبهم فاطمأنت، وإذا ما تناهى إلى سمع أحدهم آية من آيات الله تتلى، تواضع وخشع، ولان قلبه

وفاض دمعه، واستسلم بكليَّته إلى خالقه. وهذه صورة من صور إعجاز القرآن الكريم في سرعة تأثيره في النفوس، وقوَّة جاذبيته لها؛ إنه يتعامل مع القلب البشري بلا وساطة، فإذا دخل نوره إلى القلب ذاق حلاوته، ووجد في كلماته النورانيَّة المنسجمة، زيادة في الإيمان تبلغ درجة الاطمئنان. وقد وصف الله تعالى أحوال أهل المعرفة من أهل الكتاب عند سماع ذكره وتلاوة كتابه فقال:﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (٨٨) ، فمن عرف صغار شأنه أمام عظمة الله، آمن به وبما أرسله إيماناً نقيّاً خالياً من كلّ شائبة، فلا تسوِّل له نفسه أن يحيد عن دربه، ولا يسوِّغ له قلبه أن يشرك معه شيئاً من مخلوقاته، أو أن يتوكَّل على أحد منها في تصريف شؤونه وأحواله، بل يتوكَّل على الله وحده، ويبذل الأسباب الَّتي يملكها تنفيذاً لتعاليمه سبحانه وتعالى، في حسن التوكُّل، ثمَّ يفوِّض أمره إليه (٨٩) .

الموضع الخامس ـ قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ (٩٠) .

إن خير الذكر وأفضله الذكر الممزوج بالخوف، الَّذي يصحبه التضرُّع والتذلُّل لله، مع السكينة والخشية منه عزَّ وجل . وذكر الله عبادة تتَّصف بكونها دائمةً، ومطلقةً عن قيود الزمان والمكان، فأينما كان المؤمن يجب أن يكون مع الله، وأيُّ وقت يمرُّ عليه يجب أن لا يغفل فيه عن ذكره، لاسيَّما في أوَّل نهاره وفي آخره، بالغدوِّ والآصال . وإن الملائكة الأطهار لا يفترون عن هذه العبادة، ودأبهم التسبيح والسجود، شكراً لله على نعمائه، وتمجيداً لعظمته وكبريائه، وهكذا ينبغي أن يكون شأن المؤمن وحاله (٩١) .

وفي الآية الكريمة إرشاد وتوجيه إلى مداومة الذِّكر النابض بالخوف والتضرُّع، الخافت الخفي، ويؤيِّد ذلك ما رواه أحمد وابن حبان عن سعد عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال: «خَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ، وَخَيْرُ الرِّزْقِ ، أَوِ الْعَيْشِ، مَا يَكْفِي» (٩٢) . فيستحسن للذاكر أن يكثر من خلوته بربِّه بعيداً عن أعين الناس، استزادة في التأمُّل والتبتُّل، وابتعاداً عن الرِّياء والمفاخرة. والخلوةُ بالله هي حضانة روحيَّة، وانقطاع عن كل العلائق المادية والمشاغل الدنيوية، حتَّى إذا بلغت الروح درجة عالية في الصفاء والرقي؛ رجع صاحبها إلى خوض غمار الدعوة إلى الله، والانتقال من مرحلة التأهُّل الذاتي إلى تأهيل الآخرين. وهذه الخلوة كانت سنَّة جميع المرسلين، ولذلك كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يكثر منها في غار حراء، الَّذي كان الاعتكاف فيه بمثابة الرَّحِم، الَّتي احتضنت روحه الشريفة، إلى أن اكتمل إعداده، وأصبح على استعداد لتلقِّي الوحي السماوي، والدعوة إلى دين الله (٩٣).

فإن لم يكن للمؤمن حظٌّ كبير من ذكر الله، الَّذي يمثِّل الغذاء الأساسي للروح، خرج من الدنيا ولم يكتمل نموُّه الإيماني ونضجه الروحي، فلا تنطلق روحه في ملكوت السموات، بل تبقى أسيرة العذاب والضيق والحرج، وفي ذلك قال السيِّد المسيح عليه السَّلام : (لا يدخل ملكوت السموات من لم يولد ولادتين)(٩٤) ، أي الولادة الجسدية، والولادة الروحية . وذِكْرُ الله تعالى بوعي وخشوع، طريق يسلكه الذاكرون، فتُفْتَح في وجوههم جميع الأبواب المؤصدة، وتزول من أمامهم كلُّ الحُجب المانعة، فيزول الوَقْرُ من الأسماع، وينجلي العمى عن البصائر، وتنقشع الظلمة عن القلوب والعقول . وعلى النقيض من ذلك حال الغافلين الَّذين أهملوا تغذية أرواحهم، وأسرفوا في الاهتمام بمتطلَّبات أجسادهم، فصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾(٩٥)، وعندما يستحضر الذاكر جلال الله وعظمته، ويهيمن عليه الشعور بالخوف من غضبه وعقابه، مع رجاء رحمته ومرضاته؛ تصفو روحه، ويرِقّ قلبه فيتصل بالله، ويرتبط به برباط الحبِّ الَّذي يدفعه لمراقبته في جميع أحواله، وعدم الغفلة عنه ولو للحظة واحدة. وعندها يصل لأعلى مقامات القرب والشهود، ويتحقَّق بمقام الإحسان الَّذي عرَّفه النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بقوله: « الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» (٩٦). والله جليس الذاكرين ما ذكروه منفردين أو مجتمعين، مُسرِّين أو معلنين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال: « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عبدي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذكرني، فَإِنْ ذكرني في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نفسي، وَإِنْ ذكرني في مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أتاني يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » (٩٧) .

وما من جماعة يجتمعون على ذكر الله إلا حفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، وعمَّهم بمغفرته ورحمته . روى الشيخان عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) « إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ. قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ.قَالَ فَيَقُولُ هَلْ رَأَوْنِي قَالَ فَيَقُولُونَ لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ . قَالَ فَيَقُولُ وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. قَالَ يَقُولُ فَمَا يَسْأَلُونِي قَالَ يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لاَ وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ قَالَ يَقُولُونَ مِنَ النَّارِ. قَالَ يَقُولُ وَهَلْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لاَ وَاللَّهِ مَا رَأَوْهَا. قَالَ يَقُولُ فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا قَالَ يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا

فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ . قَالَ يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ فِيهِمْ فُلاَنٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ . قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » (٩٨) .

وأفضل أوقات الذِّكر طرفا النهار، حيث يُحسُّ الذاكر شدَّة ارتباطه بما حوله، ومن ثمَّ شدَّة ارتباطه بخالقه. ومن افتتح نهاره بذكر الله، واختتمه به كان جديراً بأن يراقب الله ولا ينساه فيما بينهما، ولقد كثر في القرآن الكريم التوجيه إلى ذكر الله وتسبيحه، في الآونة الَّتي تشارك فيها ظواهر الكون، في التأثير على القلب البشري وترقيقه، وإرهافه، وتشويقه للاتصال بالله (٩٩)، قال تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾(١٠٠). وقال أيضا : ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (١٠١) .

وينبغي أن يقترن ذكر الله بالصحوة الفكريَّة واليقظة الروحيَّة، فلا يذكره اللسان، ويغفل عنه القلب، فالإنسان أحوج ما يكون للاتصال بربِّه ليتقوَّى على نزغات الشيطان. فالله تعالى يقوِّي عزيمة عباده المؤمنين، ويشحذ همَّتهم لإحسان عبادته، والتوجُّه إليه، والاتصال به، فيزوِّدهم بما يغنيهم عمَّن سواه. ويضرب الله لعباده مثلاً بالملائكة الأطهار الَّذين هم دائبون على عبادته، يسبِّحونه ، ويقدِّسونه ، ويسجدون لجلاله، وقد اختصَّ السجود بالذِّكر لأن العبد أقرب ما يكون إلى الله وهو ساجد ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه واله وسلم) « إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِي النَّارُ » (١٠٢) .

وفي هذا قال أحد العارفين المحبِّين : [اعلم أنه لا شيء أنكأ على إبليس من ابن آدم في جميع أحواله في صلاته من سجوده، لأنه خطيئته، فكثرة السجود وتطويله يحزن الشيطان وليس الإنسان بمعصوم من إبليس في صلاته إلا في سجوده، لأنه حينئذ يذكر الشيطان معصيته فيحزن، فيشتغل بنفسه عنك] (١٠٣) ولذلك أصبح دأب الشيطان المستمر، وشغله الشاغل الترصُّد للمؤمنين، والحيلولة بينهم وبين الذِّكر، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ (١٠٤).

وتُخبرنا الآية الكريمة بأن الملائكة الأطهار دائبون على تسبيح الله وذكره، لا يستكبرون عن عبادته ولا يقصِّرون . وهم الَّذين لا ينزغ في أنفسهم شيطان، ولا تستبدُّ بهم نزوة، ولا تغلبهم شهوة لأنهم مبرَّؤون من ذلك. فما أحوج الإنسان إلى الاقتداء بهم في كثرة ذكر الله وتسبيحه؛ وهو المخلوق الَّذي فُطِرَ على حبِّ الخير ولديه القابليَّة للشر، وفيه لمَّة من المَلَكِ ونزعة من الشيطان؛ فإنْ أكثر من ذكر الله، غلب عليه الخير واتَّصف بالصفات الملائكيَّة، وإن غفل عن ذكره تعالى، تحكَّم به الشرُّ وصار الشيطان له قريناً، يأمره بالسوء والفحشاء، حتَّى يرديه في أودية الشقاء (١٠٥) .

الموضع السادس ـ قوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ (١٠٦) .

إن انشراح الصدر للإسلام يعني تفتُّح خلايا العقل والقلب والنفس، لاستقبال العلم الإلهي المودع في رسالة الإسلام، ومن ثمَّ هضمه واستيعابه ليتمثَّل عملاً وأخلاقاً.

ومَثَلُ القلوب القاسية الَّتي تراكمت عليها الحجب، وحالت دون وصول نور الله وهدايته إليها، فأضحت صلدة ميتة كمثل البئر المهجورة الَّتي سدَّتها الصخور، فحالت دون نزول الغيث فيها، فجفَّت وغارت مياهها.

وإن لذكر الله حلاوة وعذوبة ترتعش لها أوصال الذاكر، وتُسْتقى منها برودة اليقين، وإن حلاوتها لتزيد في كلِّ مرة أكثر من سابقتها.

ومن تعرَّض للهداية الإلهية وفتح لها مغاليق قلبه أخذ بقسط وافر منها، ومن أعرض عنها تشعَّبت به المسالك فلا هادي يرشده، ولا نور يضيء له الطريق (١٠٧) .

إن الكآبة والانقباض، والسرور والانشراح، حالات متباينة ومختلفة تعتري النفس البشرية، وتعود في أصلها لأسباب كثيرة، قد تكون ظاهرة يسهل على الإنسان تحديدها ومعالجتها، وقد تكون خفيَّة وغامضة يصعب عليه معرفتها وإدراكها.

والقرآن الكريم يعطينا من خلال هذه الآيات، تفسيراً واضحاً لهذه الحالات، الَّتي تنتاب أحدنا فتجعله يشعر بالانشراح أو الانقباض؛ فالانشراح علامة من علامات دخول النور للقلب المتصل بالله، أمَّا الانقباض فهو أثر يخلِّفه البعد عن الله، والإعراض عن ذكره.

وإن جوهر الإسلام نور إلهي يخترق حجب الصدور، ليشيع في القلوب أجواء الراحة والسعادة النفسيَّة، وهذا النور القدسي عندما لا يجد في القلب مستقراً، يعود من حيث أتى، تاركاً المُعرض عنه في ظلمات بعضها فوق بعض، ويصبح من العسير إزالتها (١٠٨) .

فالعاقل من يتفقَّد قلبه ويتأكَّد من سلامته من التلوُّث، ويراقب تقلُّباته خشية أن تتراكم عليه الآفات، فتحيله إلى قلب أجرد قاحل، لا ينبت إلا الشوك والضريع، كما يسعى جاهداً لوقايته والمحافظة عليه بكثرة الذِّكر، الَّذي يستمطر به أنوار الله، فتتفجَّر ينابيع الحكمة المودعة في أعماقه على لسانه، وتتندَّى تربة هذا القلب فيشدُّها الحنين والشوق إلى بارئها، ويطلب صاحبها الصلة والوصال بإرادة المحبِّ الظمآن، وبعزيمة العاشق الولهان !!

فيا حسرة على القاسية قلوبهم الَّذين إذا ذكر الله عندهم، وذُكِرَتْ دلائل قدرته وبدائع صنعته أمامهم، أعرضت نفوسهم، وازدادت قلوبهم قسوة، فحُرموا من تذوُّق حلاوة الإيمان، مثلهم في ذلك كمثل المريض الَّذي تعاف نفسه أطايب الطعام(١٠٩) . أخرج الترمذي عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه واله وسلم) « لاَ تُكْثِرُوا الْكَلاَمَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلاَمِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبُ الْقَاسِي »(١١٠) .

وكما أن للقسوة أسبابها، فللانشراح علاماته وأسبابه عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه واله وسلم) : « أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ قَالُوا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ أَكْيَسُ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ وَأَحْسَنُهُمْ لَهُ اسْتِعْدَادًا » (١١١) .

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه واله وسلم) : « إِنَّ الإِيمَانَ إِذَا دَخَلَ الْقَلْبَ انفسح لَهُ الْقَلْبُ وَانْشَرَحَ » ، وَذَكَرَ هَذِهِ الآيَةَ { فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ } قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، وَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ آيَةٍ يُعْرَفُ بِهَا ؟ « قَالَ : نَعَمْ ، الإِنَابَةُ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ ، وَالتَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ ، وَالاِسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ الْمَوْتِ » (١١٢) .

فالمؤمنون يتلقَّون القرآن الكريم بمحبَّة وقبول، لأنهم يوقنون أنه كتاب الله، الَّذي لا اختلاف في طبيعته، ولا في اتجاهاته، ولا في روحه، ولا في خصائصه، بل هو كلٌ متماسك، تتكرَّر مقاطعه وقصصه، وتوجيهاته ومشاهده، ولكنها لا تختلف ولا تتعارض، إنما تُعاد في مواضع متعددة، وفق حكمة تتحقَّق في الإعادة والتكرار في تناسق واستقرار، على أصول ثابتة متشابهة، لا تعارض فيها ولا اصطدام. والَّذين يخشون ربَّهم ويتَّقونه، ويعيشون في تطلُّع ورجاء، يتلقَّون هذا الذِّكر في وجل وارتعاش، وفي تأثُّر شديد تقشعرُّ له الجلود، ثمَّ تهدأ نفوسهم، وتأنس قلوبهم بهذا الذِّكر عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: قَرَأَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ عِنْدَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه واله وسلم) فَرَقُّوا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ(صلى الله عليه واله وسلم):« اغْتَنِمُوا الدُّعَاءَ عِنْدَ الرِّقَّةِ فَإِنَّهَا رَحْمَةٌ» (١١٣)، وعَنْ أُمِّ كُلْثُومَ بِنْتِ الْعَبَّاسِ ، عَنْ أَبِيهَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه واله وسلم) : « إِذَا اقْشَعَرَّ جِلْدُ الْعَبْدِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ، تَحَاتَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ كَمَا تَحَاتُّ عَنِ الشَّجَرَةِ الْبَالِيَةِ وَرَقُهَا»(١١٤) .. وقال العابد الزاهد مالك بن دينار (رحمه الله) : [ما ضُرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، وما غضب الله تعالى على قوم إلا نزع منهم الرحمة] (١١٥) .

وإن القلوب الطاهرة لترتعش حين تحرِّكها النفحات الإلهية نحو الهدى والاستجابة والإشراق، وهي على النقيض من قلوب الضالِّين الَّتي لا تقبل الهدى، ولا تجنح إليه؛ فتغدو قاسية غافلة لا تستشعر الأنوار الإلهية، ولا تتحسَّس العطايا الربانية (١١٦) .

الموضع السابع ـ قوله تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١١٧) .

لابدَّ للمؤمنين من شحذ هممهم لاجتياز طريق الإيمان بمحبَّة الله تعالى وخشيته، حتَّى تمتزج خلاياهم الروحية بأنواره القدسية، وتتفجَّر ينابيع عواطفهم بذكره وتلاوة كتابه الكريم ، ولقد ابتعد الكثير من الناس عن المنابع الروحية لرسالات أنبيائهم ردحاً طويلاً من الزمن، فتحجَّرت عواطفهم الإيمانية، وانحرفوا عن السلوك القويم الموصل إلى محبَّة الله تعالى ورضوانه ، وإن الله تعالى قادر على أن يحيي أرض القلوب بعد مواتها ، وتعاليم الله تعالى واضحة؛ فإذا تدبَّرناها أدركنا ما فيها من خير ورشاد للفرد والمجتمع (١١٨) .

وان بعض الصحابة الكرام توهَّجت قلوبهم بمحبَّة الله بمجرد مبايعتهم للنبي عليه السَّلام على الإسلام، ولم تمض عليهم أيَّام قليلة حتَّى تعرضوا لمختلف أنواع الابتلاء والتعذيب الجسدي، فصبروا وصابروا، ومنهم من استشهد، فما وهنوا ولا تراجعوا. وبعضهم الآخر أعلن إسلامه ظاهراً، ولم تنبض قلوبهم بروح الإسلام، ولم تنصهر مشاعرهم بذكر الله، فكان عليهم أن يتنبَّهوا لحسن إسلامهم، وإعمار قلوبهم بمحبَّة الله سبحانه وعشقه . وهذه الآية تحمل لهم عتاباً مؤثِّراً من المولى الكريم، واستبطاءً لاستجابة قلوبهم الَّتي أفاض عليها من فضله، حيث بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوهم للإيمان، ونزَّل عليهم الآيات البيِّنات لتخرجهم من الظلمات إلى النور(١١٩) .

وإنه عتاب فيه ودٌّ ومحبَّة لاستثارة المشاعر بجلال الله والخشوع لذكره، وإلى جانب ذلك فيه تحذير من عاقبة التباطؤ والتقاعس عن الاستجابة، وبيان لما يغشى القلوب من الصدأ، حين يمتدُّ بها الزمن دون جلاء، وما تنتهي إليه من القسوة، حين تغفل عن ذكر الله، وما أشدَّ العذاب النفسي الَّذي يقع فيه من قسا قلبه بعد الإيمان! وما أخطر أن يقسوَ القلب فيفسق عن أمر الله، ويبتعد عن حوض عطائه النوراني الكريم . والعِبَرُ كثيرة في قسوة القلوب عند كثيرٍ من أتباع الرسالات السماوية، الَّذين تحوَّلت عباداتهم إلى طقوس جوفاء، لا تنعش الروح ولا تغذِّي القلب؛ وكان جدير بهم أن يلتجئوا إلى الله تعالى، الَّذي يليِّن أرض القلوب بعد قسوتها، كما يحيي التربة بعد موتها (١٢٠) .

فلنسرع إلى مجالس الذِّكر والإيمان، مجالس الحبِّ في الله مع الأولياء الصالحين، حيث تنتعش القلوب بالتجلِّيات الربَّانية والنفحات الإلهية، ولنسرع إلى صلوات الجماعة ففيها عطاء وبركة، وإلى كتاب الله نتدارس آياته بوعي وفهم، بعشق وحنين، ليتفتَّح ورد الإيمان، وتزهر أغصان العمل. عن مالك بن أنس أنه قال: بلغني أن عيسى عليه السَّلام قال لقومه: (لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله تعالى، فتقسو قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا

في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا فيها كأنكم عبيد، فإنَّما الناس رجلان معافى ومبتلى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية) (١٢١) .

الموضع الثامن ـ قوله تعالى:﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٧٤ ﴾ (١٢٢) .

وصف الله تعالى قلوب الغافلين عن ذكره، بالصلابة والغلظة، بسبب ما تراكم عليها من ظلمات المعاصي والذنوب، فصارت لا تتأثر بالعظات والمعجزات الإلهية الَّتي تَلِيْنُ لها الصخور الصلدة، وإن قلوب الغافلين أكثر عقماً من الحجارة، بل الحجارة خير منها، إذ أن بعضها مكامن للماء، تتفجَّر منها الينابيع وتحمل الخير للجميع، وبعضها الآخر يلين ويتشقق لقلَّة صلابته، بينما قلوب هؤلاء صمَّاءُ قاسية، لا يرجى منها خير، وما كانوا كذلك إلا لانقطاعهم عن الله، وان الله تعالى عليم بمخلوقاته، لا يغفل عن عمل مهما صغر شأنه (١٢٣) .

الإنسان مخلوق بديع التكوين، معقَّد التركيب، يتألَّف من عناصر مختلفة متباينة لكنها متكاملة منسجمة، تترك بَصَماتها الواضحة على سلوكه وانفعالاته . فهو جسدٌ مادِّي ينتمي إلى الأرض، وروح تنتمي إلى ملكوت السموات وعالم الغيب، ومن جهة أخرى فهو يخضع لقوى يشدُّه بعضها إلى الأرض ـ منشأ جسده ـ وبعضها الآخر إلى الأعالي، حيث مصدر روحه، وفي خضمِّ ذلك تدور صراعات عنيفة في داخله، يديرها ويتحكم فيها طرفان هما العقل والقلب من جهة، والنفس والأهواء من جهة أخرى، وإن نتيجة هذا الصراع هي الَّتي تحدِّد الملامح الخاصَّة الَّتي تميِّز شخصية كلِّ إنسان(١٢٤) .

فالشخصية الإنسانية تُصَنَّفُ في أنماط مختلفة، وفقاً لما يعتلج في وجدانها من البواعث والانفعالات، الَّتي تؤثِّر وتتأثَّر من خلالها بما حولها. والناس يتدرَّجون في الرقي والسمو، تبعاً للكيفية والمقدار الَّذي تتجاوب فيه عقولهم وقلوبهم مع شريعة الله، فأدنى الناس درجةً هم أولئك الَّذين يكادون يتساوون مع الجماد لقسوة قلوبهم؛ الَّتي لا تلين أمام آلاء الله ومعجزاته العظيمة، فلا خير يرجى منهم، لأنفسهم أو لمن حولهم، وهم بذلك يضربون مثلاً سيِّئاً في التصلُّب والقسوة يفوق قسوة الحجارة؛ إذ أنَّ الحجارة ليست كلَّها صمَّاء عقيمة، بل إنَّ بعضها قد يكون مصدراً للخير والعطاء (١٢٥) .

ويُهيب تعالى بهؤلاء أن يتفكَّروا في خلق هذه الحجارة، الَّتي تتفاوت من حيث تكوينها والدور الَّذي خلقت من أجله، فإنَّ منها ما تتفجَّر منه العيون الصافية، جداول وأنهاراً وفيرة غزيرة، تحمل أسباب استمرار الحياة إلى سائر المخلوقات، ومنها ما تنساب منه المياه بشكل يسير ضئيل، لكنه يطفئ ظمأ العطشى ويلبِّي حاجاتهم، ومنها ما يمضي عليه ردحٌ من الزمن مثبت إلى الأرض كالجبال الشامخة، حتَّى إذا أراد الله بها أمراً تكسَّرت وهبطت من علو، كما أصاب الجبل حين تبدَّى له نور الله أثناء مناجاة موسى (عليه السَّلام) فخشع وتصدَّع من هيبة الله وجلاله (١٢٦) .

ولعلَّ أولئك يدركون ـ إذا ما تفكَّروا في ذلك كلِّه ـ أنَّ مخلوقات الله جميعاً هي مصدر خير لهذا الكون، وإن تفاوت مقداره بينها، وحريٌّ بالإنسان أن يكون مصدراً للخير على الدوام، لأنه مؤهَّل بما لم يؤهَّل به غيره من سائر المخلوقات، فهو أكرم الخلق على الله عزَّ وجل، لذلك نجد بين الناس من هو منيب إلى الله، داعٍ إلى صراطه المستقيم، يضمُّ بين جوارحه نفساً لوَّامة توَّاقة إلى لقاء الله عزَّ وجل، وقلباً نابضاً بذكر الله يفيض بالخير والعطاء على من حوله، فتحيا قلوب الناس به، ومنهم أيضاً من لا يطيق الذنوب ويكثر من الاستغفار، فهو في عداد التائبين، تفيض عيناه بالدمع عند تذكُّرِ ضعفه أمام قوَّة الله، والتفكُّر في ذنبه أمام سعة رحمة الله وغفرانه، ومنهم من لا يتحرك قلبه بالإيمان، ولا تستكين جوارحه لعظمة الله وجبروته، إلا إذا واجهته المحن وضاقت به السبل، عندها تنطلق صيحة الرجاء من أعماقه لحضرة الله طالبة النجاة، لأنه إنسان غافل يحتاج إلى هزَّة عنيفة، توقظ مشاعره وتفتِّح بصيرته، ليستفيق ويعود إلى سبيل الرشاد (١٢٧) .

فمعيار الخير في ذات الإنسان إذن، هو مقدار الحبِّ والإيمان وذِكْر الله الَّذي يعمر قلبه، وقد شَبَّهَتِ الآية القلب بالنبع، لأنهما كلاهما يشتركان بخاصيَّة التدفُّق ونشر الحياة، فإذا تدفَّق القلب بالحبِّ والإيمان عمَّر ما حوله بالنور والخير، وإذا تدفَّق النبع بالمياه العذبة حوَّل الصحارى القاحلة إلى واحات خضراء . وإن جفاف القلب كذلك يشبه جفاف النبع، فمن جفَّ قلبه فقد نضب من ماء محبَّة الله تعالى، وماء محبَّة الخلق، فعاش بجسد حيٍّ وقلب ميت، فلا ينفع نفسه ولا ينفع غيره(١٢٨) .

الخاتمة

بعد هذه الجولـة في أمهات الكتـب مـن المصادر والمراجـع توصلنـا إلى أهم النتائج التالية :

١) إن ذكر الله تعالى هو قوام الحياة الروحية، وهو العنصر الفعال الذي يتفاعل داخل كيان الذاكر، ويتحد مع ذرات القلب ليتحول إلى طاقة نورانية ربانية، تولد في روح المؤمن القوة والنشاط، وتدفعه للقيام بالمزيد من الطاعات والعبادات والعمل المنتج، وهو عطاء مستمر لا ينقطع .

٢) من ثمرات الذكر خروج المؤمن من الظلمات النفسية والمادية إلى رحاب الحق والحكمة والعمل الصالح، وهذا من رحمة الله بعباده وهو ارحم الراحمين . وفي الدار الآخرة يوم اللقاء العظيم مع حضرة الله يجد المؤمن كل سلام وتقدير ومحبة، مع التكريم في المقام، بما لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

٣) إن الموفقين فازوا لأنهم جعلوا ذكر الله تعالى شغلهم وديدنهم، وشعارهم ودثارهم، وامتلأت قلوبهم منه، ولهجت ألسنتهم به، والظوا به ليلهم ونهارهم، وفي جميع أحوالهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم؛ حتى أصبح كأكل والشراب، وغدا قرة عيونهم، ونعيم قلوبهم، ولذة أرواحهم، ومحط أفراحهم، إليه ينيبون، وبه يتشبثون، ومنه يتزودون.
٤) إن ذكر الله تعالى ليس هو لقلقة لسان، أو مجرد التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، في دائرة الألفاظ والكلمات، بل هو التوجه الحقيقي لله تعالى، والإذعان لقدرته والإحسان بوجوده أينما كنا . ولا شك أن مثل هذا الذكر هو المطلوب، وهو الغاية القصوى والدافع للاتجاه نحو الحسنات، والإعراض عن السيئات والقبائح .
٥) إن من أهم أنواع الذكر هو استحضار عظمة الله تعالى وجلاله وكماله إجمالا أو بالتفصيل، بتدبر أسمائه الحسنى وصفاته العلى الثابتة له في الكتاب والسنة، بتناول كل اسم وصفة منها، والتفكر في معانيها، واستحضار عظمة الموصوف به وكماله وجماله، وتنزيهه عما لا يليق به، ثم امتلاء القلب من ذلك، وحصول ثمرته من المحبة لله تعالى والخوف منه والرجاء منه، وخشوع القلب وإخلاصه له، وطمأنينته بذكره، وتوكله عليه، وسائر أحوال القلب الإيمانية .
٦) إن القلوب الطاهرة لترتعش حين تحرِّكها النفحات الإلهية نحو الهدى والاستجابة والإشراق، وهي على النقيض من قلوب الضالِّين الَّتي لا تقبل الهدى، ولا تجنح إليه؛ فتغدو قاسية غافلة لا تستشعر الأنوار الإلهية، ولا تتحسَّس العطايا الربانية .

وصلى على سيدنا محمد الكريم وأهل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين

الهوامش

(١) ينظر: تاج العروس للزبيدي، دار الهداية، ١/ ٢٨٦٣ .
(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، ٤/ ٣٠٨ .
(٣) سورة مريم الآية (٢) .
(٤) سورة الكهف من الآية (٦٣) .
(٥) ينظر: المفردات في غريب القران، للأصفهاني، دار القلم، ١٦٣/١ .
(٦) سورة البقرة من الآية (٢٠٠) .
(٧) تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ١١١/٣.
(٨) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، دار الفكر، ص ٣٤٩ .
(٩) الجامع لأحكام القران ، للقرطبي ، دار الكتب العلمية ، ١٧١/٢ .
(١٠) الأذكار، للنووي، دار المعرفة ، ص٧ .
(١١) مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، دار الكتب العلمية ، ٦٦١/١٠ .
(١٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ، دار الكتب العلمية، ص٤٢٢ .
(١٣) ينظر: الأخلاق في القران، للشيرازي، مؤسسة أم أبيها، ٣٠٨/١.
(١٤) بحار الأنوار، للمجلسي، دار إحياء التراث، ٥٥/٧٥ .
(١٥) المصدر نفسه .
(١٦) ينظر: فتح الباري شرح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة ، ٢٠٩/١١ . ومدارج السالكين، لابن القيم، دار الكتاب العربي ، ٣٣١/١ .
(١٧) ينظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي ، ص ٦١ .
(١٨) ينظر : الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ص ٧٠.
(١٩) ينظر : مجلة البحوث الاسلامية ، العدد الثالث عشر من رجب الى شوال سنة ١٤٠٥هـ، تحت عنوان(ألفاظ الذكر في القرآن وأوضاعها اللغوية) ، مطبعة الرياض ، (الجزء رقم : ١٣، الصفحة رقم : ١٤٩) .
(٢٠) نزهة الأعين النواظر ، لابن الجوزي ، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م ، ٣٠١ ـ ٣٠٦ .
(٢١) سورة البقرة من الآية (٢٠٠) .
(٢٢) سورة آل عمران من الآية (١٩١) .
(٢٣) سورة الأحزاب من الآية (٤١) .
(٢٤) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت ، ٢٢٥/٢٨ .
(٢٥) سورة آل عمران الآية (١٣٥) .
(٢٦) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، المؤلف : د . وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر - دمشق ٢٥١/٥ .
(٢٧) سورة يوسف من الآية (٤٢) .
(٢٨) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، الدكتور عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي ، ١٢٧٦/٦ .
(٢٩) سورة الكهف الآية (٨٣) .
(٣٠) ينظر: التفسير المنير ، ٢٣/١٦ .
(٣١) سورة الأنعام من الآية (٤٤) .

(٣٢) ينظر: التفسير الكبير ، للرازي ، دار الكتب العلمية ، ٣٩٢/١٥ .
(٣٣) سورة طه من الآية (١٢٤) .
(٣٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن، الشيخ عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة، ص ٥١٥.
(٣٥) سورة القمر الآية (٢٥) .
(٣٦) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، ١٦٧/٢٧ .
(٣٧) سورة طه الآية (١٢٤) .
(٣٨) ينظر: التفسير الواضح، الدكتور محمد محمود حجازي، دار الجيل الجديد، ٢/ ٥٣٦ .
(٣٩) سورة الأنبياء من الآية (٧) .
(٤٠) ينظر: التفسير المنير ، ١٤٨/١٤ .
(٤١) سورة الأنبياء الآية (١٠) .
(٤٢) ينظر: التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي ، دار النهضة مصر للطباعة ، ٩/ ١٩٠ .
(٤٣) سورة البقرة الآية (١٥٢) .
(٤٤) ينظر : التفسير المنير ، ٢/ ٣٥ .
(٤٥) سورة إبراهيم الآية (٧) .
(٤٦) سورة البقرة من الآية (٦٣) .
(٤٧) ينظر : روح المعاني ، للالوسي ، ١/ ٢٨١ ، وتفسير المنار: الشيخ محمد رشيد بن علي رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٩/ ٣٢٥ .
(٤٨) سورة الأعراف من الآية (٦٣) .
(٤٩) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن السيوطي ، دار هجر – مصر، ٦/ ٤٤٤ .
(٥٠) سورة المنافقون من الآية (٩) .
(٥١) ينظر : التفسير المنير ، ٢٢٩/٢٨ .
(٥٢) سورة الجمعة من الآية (٩) .
(٥٣) ينظر : التفسير الوسيط ، ٣٨٨/١٤ .
(٥٤) سورة ص الآية (٣٢) .
(٥٥) ينظر : لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، دار الكتب العلمية، ٤٠/٤ .
(٥٦) سورة الأنبياء الآية (٣٦) .
(٥٧) ينظر : التحرير والتنوير، ٤٨/١٧ ، والتفسير الوسيط ، ٢٠٩/٩ .
(٥٨) سورة الأنبياء الآية (١٠٥) .
(٥٩) ينظر: تفسير البيضاوي، ناصر الدين البيضاوي ، دار الفكر ، ٤/ ١١١، والتفسير الوسيط، ٢٥٧/٩ .
(٦٠) سورة الشعراء من الآية (٢٢٧) .
(٦١) ينظر : صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار الكتاب ، ٢/ ٢٩٤ .
(٦٢) سورة الطلاق من الآيتين (١٠-١١) .
(٦٣) الدر المنثور ، ١٤/ ٥٦١ .
(٦٤) ينظر : روح المعاني ، ٣٣٦/١٤ .
(٦٥) سورة الأحزاب الآيات (٤١-٤٤) .
(٦٦) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، ٢١/ ٢٧٦.
(٦٧) ينظر: تفسير الرازي ، ١/ ٣٦٣٧ .
(٦٨) سورة النساء من الآية (٤) .
(٦٩) ينظر: المصدر نفسه .
(٧٠) ينظر: آيات قرآنية ، ٣٢٢/١ . والشعر في ديوان عبد الغني النابلسي، طبعة دار المعارف ، ص٥ .
(٧١) سورة الرعد من الآية (٢٨) .
(٧٢) ينظر : المصدر نفسه .
(٧٣) رواه أحمد وإسناده حسن، مجمع الزوائد للهيثمي، ١٠/ ٩٥ .
(٧٤) مُصنف ابن أبي شيبة، لأبي شيبة، دار السلفية، ١٣/ ٤٥١ .
(٧٥) ينظر: آيات قرآنية عرض وتحليل، ٣٢٢/١ .
(٧٦) ينظر : تفسير الفتح القدير، للشوكاني، دار الفكر، ٤/ ٢٨٧ .
(٧٧) سورة الزخرف الآية (٤٣) .
(٧٨) ينظر: آيات قرآنية عرض وتحليل، ٣٢٢/١ .
(٧٩) ينظر: التربيةُ الروحيَّةُ في الإسلام، غازي صبحي آق بيق، دار المعمور، ص١٠ .
(٨٠) صحيح مسلم ، باب القرين رقم (٧٢١٠) ، ١٣٩/٨ .

(٨١) ينظر: التفسير المنير ،٣٥/١٦ .
(٨٢) رواه الشيخان رقم الحديث (١٥٥١) ، ينظر : اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، الشيخ محمد فؤاد بن عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٢٨/٣ .
(٨٣) سورة الأنفال الآية (٢) .
(٨٤) سورة الرعد الآية (٢٨) .
(٨٥) ينظر : التربيةُ الروحيَّةُ في الإسلام ، ص١٣.
(٨٦) سورة المؤمنون: الآيتين (٦٠ – ٦١) .
(٨٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القران ، لابن جرير الطبري ، مؤسسة الرسالة ، ١٣/ ٣٨٥ ، والتربيةُ الروحيَّةُ في الإسلام ، ص١٣.
(٨٨) سورة الحج من الآيتين (٣٤-٣٥) .
(٨٩) سورة المائدة الآية (٨٣) .
(٩٠) ينظر: تفسير القران العظيم، لابن كثير، دار الكتب العلمية، ٩/٤. والتفسير الوسيط ، ١/ ٢٣٨٤ .
(٩١) سورة الأعراف الآيتين (٢٠٥ -٢٠٦) .
(٩٢) ينظر: الجامع لإحكام القران ، للقرطبي ، ٧/ ٢٢٣ .
(٩٣) رواه أحمد وأبو يعلى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة وقد وثقه ابن حبان وقال : روى عن سعد بن أبي وقاص قلت : وضعفه ابن معين وبقية رجالهما رجال الصحيح ، ينظر : مجمع الزوائد ، ٨٥/١٠ .
(٩٤) ينظر: تفسير الخازن ، ٢١١/٢. والتربيةُ الروحيَّةُ ، ص١٣.
(٩٥) التربيةُ الروحيَّةُ ، ص١٣.
(٩٦) سورة الأعراف من الآية (١٧٩) .
(٩٧) صحيح البخاري باب (سؤال جبريل) رقم الحديث (٥٠) ، ١٩/١ .
(٩٨) صحيح البخاري بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : { وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ } رقم الحديث (٧٤٠٥) ، ١٢١/٩ .
(٩٩) صحيح البخاري بَابُ (فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) رقم الحديث (٦٤٠٨) ، ٨/ ٨٦ .
(١٠٠) ينظر: جامع البيان للطبري، ٣٩٩/١٨، والتربيةُ الروحيَّةُ، ص١٣.
(١٠١) سورة ق الآية (٢٩) .
(١٠٢)سورة الإنسان الآيتين (٢٥-٢٦) .
(١٠٣) صحيح مسلم باب(إذا قرأ ابن آدم السجدة) رقم (١٥٧) ، للقشيري، دار الجيل، ٦١/١ .
(١٠٤) تفسير روح البيان : إسماعيل حقي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي، ٣/ ٢٣٦ .
(١٠٥) سورة المائدة الآية (٩١) .
(١٠٦) ينظر : صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني، ١٩٨/١ .
(١٠٧) ينظر : في ظلال القران ، سيد قطب ، دار الشروق ، ٥/ ٣٠٤٨ .
(١٠٨) ينظر : تفسير المراغي، أحمد المراغي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ٧٣/٢١ .
(١٠٩) ينظر : في ظلال القران ، ٥/ ٣٠٤٨ .
(١١٠) ينظر : آيات قرآنية ، ٣٣٠/١ .
(١١١) الحديث(حسن صحيح) ، ينظر ، الجامع الصحيح سنن الترمذي، للترمذي باب (حفظ اللسان) رقم (٢٤١١)، دار إحياء التراث ٤/ ٦٠٧ .
(١١٢) رواه الطبراني في الصغير وإسناده حسن ، ينظر : مجمع الزوائد ، ٥٥٦/١٠ .
(١١٣)أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢١٠/١ ، وابن جرير ٢٦/٨-٢٧ وغيرهما عن ابن مسعود موصولا وعن غيره مرسلا (وانظر الدر المنثور ٣٥٨/٥) وقال ابن كثير : فهذه الطرق لهذا الحديث مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضا والله أعلم . (التفسير ١٧٥/٢) .
(١١٤) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن أبي بن كعب ، ينظر : كشف الخفاء ، للعجلوني، دار إحياء التراث العربي، ١/ ١٤٩ .
(١١٥) رواه البزار وفيه أم كلثوم بنت العباس ولم أعرفها، وبقية رجاله ثقات، مجمع الزوائد ، ١١/ ٢٢٥ .
(١١٦) تفسير السراج المنير، المؤلف : محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ٣/ ٣٥٥ .
(١١٧) ينظر: تفسير المراغي، الشيخ احمد المراغي، مطبعة مصطفى ألبابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٥١/٢٣ .
(١١٨) سورة الحديد الآيتين (١٦-١٧) .
(١١٩) ينظر : الجامع لأحكام القران ، للقرطبي ، دار الكتب المصرية ، ٢٤٨/١٧ .
(١٢٠) ينظر : البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر ، ١٠٧/١٠ .
(١٢١) ينظر: روح المعاني ، ١٨١/١٤ .
(١٢٢) ينظر : تفسير الخازن ، ٢٤٩/٤ .
(١٢٣) سورة البقرة الآية (٧٤) .

(١٢٤) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي ، مؤسسة الرسالة ، ٥٥/١ .
(١٢٥) ينظر: آيات قرآنية ، ٣٣٤/١ .
(١٢٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة ، ٣٠٤/١ .
(١٢٧) ينظر: تفسير المنار ، ٢٩١/١ .
(١٢٨) ينظر : آيات قرآنية ، ٣٣٤/١ .

المصادر والمراجع

القران الكريم
١. الأخلاق في القران، للشيرازي، مؤسسة أم أبيها .
٢. الأذكار، للإمام النووي، دار المعرفة .
٣. آيات قرآنية عرض وتحليل ، غازي صبحي أق بيق ، مكتبة الأسد.
٤. بحار الأنوار، للمجلسي، دار إحياء التراث.
٥. البحر المحيط ، لأبي حيان الأندلسي ، دار الفكر .
٦. تاج العروس للزبيدي، دار الهداية.
٧. التحرير والتنوير، لابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت .
٨. التربيةُ الروحيَّةُ في الإسلام، غازي صبحي آق بيق، دار المعمور .
٩. تفسير البيضاوي، ناصر الدين البيضاوي ، دار الفكر .
١٠. تفسير السراج المنير، المؤلف : محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية ـ بيروت .
١١. تفسير الفتح القدير، للشوكاني، دار الفكر.
١٢. تفسير القران العظيم، لابن كثير، دار الكتب العلمية .
١٣. التفسير القرآني للقرآن، الدكتور عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي .
١٤. التفسير الكبير ، للرازي ، دار الكتب العلمية .
١٥. تفسير المراغي، أحمد المراغي، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر .
١٦. تفسير المنار: الشيخ محمد رشيد بن علي رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
١٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، د . وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ـ دمشق .
١٨. التفسير الواضح ، الدكتور محمد محمود حجازي ، دار الجيل الجديد .
١٩. التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي ، دار النهضة مصر للطباعة .
٢٠. تفسير روح البيان : إسماعيل حقي الخلوتي، دار إحياء التراث العربي .
٢١. تفسيرعبد الرزاق ، الامام عبد الرزاق الصنعاني ، مطبعة الهداية .
٢٢. تهذيب الأسماء واللغات ، للنووي ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية .
٢٣. التوقيف على مهمات التعاريف، للمناوي، دار الفكر .
٢٤. تيسير الكريم الرحمن، الشيخ عبد الرحمن السعدي، مؤسسة الرسالة .
٢٥. جامع البيان في تأويل القران ، للطبري ، مؤسسة الرسالة .
٢٦. جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ، دار الكتب العلمية .
٢٧. الجامع لأحكام القران ، للقرطبي ، دار الكتب العلمية .
٢٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن السيوطي ، دار هجر – مصر .
٢٩. ديوان عبد الغني النابلسي ، الشيخ عبد الغني ابن إسماعيل النابلسي ، دار المعارف .
٣٠. سنن الترمذي، للترمذي باب (حفظ اللسان) رقم(٢٤١١)، دار إحياء التراث .
٣١. صحيح البخاري ، الامام البخاري ، دار احياء التراث العربي .
٣٢. صحيح مسلم ، الامام مسلم ، دار الفكر .
٣٣. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني .
٣٤. فتح الباري شرح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة .
٣٥. في ظلال القران ، سيد قطب ، دار الشروق .
٣٦. كشف الخفاء ، للعجلوني، دار إحياء التراث العربي .
٣٧. لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، دار الكتب العلمية .
٣٨. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر .
٣٩. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، الشيخ محمد فؤاد بن عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٤٠. مجلة البحوث الاسلامية ، العدد الثالث عشر من رجب الى شوال سنة ١٤٠٥هـ، مطبعة الرياض .
٤١. مجمع الزوائد ، للهيثمي ، دار الفكر .
٤٢. مجموع الفتاوى ، لابن تيمية ، دار الكتب العلمية .

٤٣. مدارج السالكين، لابن القيم، دار الكتاب العربي .
٤٤. مُصنف ابن أبي شيبة ، دار السلفية .
٤٥. المفردات في غريب القران، للأصفهاني، دار القلم .
٤٦. نزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي ، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م .
٤٧. الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم الجوزية، تحقيق : محمد عبد الرحمن، دار الكتاب العربي.